

قصة شلي الخرامية

حفاؤها غرب من مستندات الخيام

تخويص وتليس : بحلم مسرع . الهامسرى

— ٣ —

حتى اذا ما كنا في الفصل الثالث من هذه الأمانة المضحكة رأينا هؤلاء الثلاثة يسانرون على الأقدام من باريس ومعهم حمار هزيل كان قد اشتراه شلي ليحمل متاعهم . وعجز الحمار عن أن يقوم بمهمته لضخه وسقط خائراً في الطريق واضطرت الفتاتان على أن يحملوه حتى أقرب قرية ، وهناك باعوه واشتروا بئرة بدلاً منه .

وضربوا في مفاضة خربتها الحرب حديثاً ومن ثم لم يجدوا مأوى موافقاً يزرعون إليه ويستريحون من وشاء هذا السفر الطويل . لقد كانت الخانات مرمية البناء ، وفي حالة سيئة من القدارة . وكانت جيوش الجرذان المستوحشة ترحف في الليل على غرف هذه الخانات مما جعل الثلاثة يقضون ساعات الظلام الطويلة في ركن من فناء مطبخ الخان

ولم ينس شلي « هاريت » على الرغم من هذه المشاكل الشائعة التي كان يجب أن تصرف ذهنه عن كل شيء آخر عداها . لقد أخذ يشكر في حالها وأخذ يؤنبه ضميره على ما جرّه عليها من أذى وتعب . ومن المستغرب أنه أرسل إليها كتاباً طويلاً يسعها فيه إلى الافئدة اليهم والاشترك معهم في كل ما يتالون من سعادة ويتحصلون من متاع وسرور . ونحن نقبس هنا بعض ما جاء في هذا الكتاب الطويل :

« هل لك أن تحضري الى سويسرا لتشتركي معنا في هذه الرحلات الجلية ؟ إنك لن
« تدمي على الأقل صديقاً وفيّاً يتألف على آمالك وأحلامك ويجلبها أن تصاب بصراً أو أذى »
وقرأت هاريت الكتاب ولكنها طرحته جانباً ولم تجب عليه
ووصل الجميع إلى سويسرا أخيراً ونزلوا في غرفتين من قلعة عتيقة تهتمه لم تعصم من

الشرق خريف ولا استنار في ما بين ما أصبح في يد عيني فمذبة دون عيني أخذ يسكر في تلك العيبة ، وأخيراً عن عيني — وأجمع الأرواح — ان يرحبوا لي في تلك العيلة التي انزلوا إلى روبردان في قرية وبيوتهم صفراء ، فبقوا من السير إلى شلي أغرى فبازر أسديقه بأن يحلمهم بصره ، ورحمهم عزمه وولدهم من عشاء كبير إلى ليل حيث استأجروا مركبة لاسي العائلة كلها إلى شلي ، ولكن شلي لم يكن له قوة بدفعها إلى شلي وأخيراً — وبعد شكير — تمكن من إيجاد حل هذه المسألة في المنزل في استئجار زوجته فلما أنت اخضت إشتاقان وراه أنياب واستقل الزوج وحده هاريت ، واقترض منها قلبي من الخيمات . كانت هاريت — ما تزال — أجيوشلي ، ولم يؤيسب إرجاءه في عودة زوجها إليها يوماً ما . إذ أنها كانت تعتقد ان سبه لماري بن هو الأ عاطفة هبوط سوف تفر وتلاشي . بسبب أنسأ إلى منها شيئاً فشيئاً ثم يبرد بعد ذلك قائماً ملوماً إلى داره . ولكن كذا الامن بعيداً عن الحفنة — لقد كان حلياً خاطباً ورزقت هاريت « بلداً ثانياً في آخر التمام ولكن لم يؤثر بحبي الولد في شلي ولم يرجع الزوج الثارذ إلى احضار زوجته . لقد كان شلي يحب ماري ويعدها وكان يحمد في جانبها سعادة لا تعدها معادة على ابرعم مما يكتنهما من شدة وعسر ، وما يجب ذكره هنا ان « جين » — أخت ماري — استبدلت اسمها « بكير » واستحجبت الزوجين ولزمتهما قرأماً وبدأت تحس في قلبها عاطفة نحو الشاعر الخيال الجميل الذي تعمق في أحسنها من دونها وساعت حال شلي بعد قليل من هذا الوقت واضطرب المحضرون الذين كانوا يلاحظونه ويرسمون اثره إلى الاحتفاء عن أعينهم وإلى التنايل مع ماري في انسرفقط دون العلانية . وكانا يتبادلان اثناء ذلك رسائل مديحة يسجلها الأدب والتاريخ بالفخار والاعجاب . وبينما كان شلي يداني الآام الذائقة وبينما كانت جميع أسباب الرزق ومناقصه تعجم في وجهه إذ أتاه نعي جده سير يسي غطفت في حياته «ارقة أمن اصامت ما اا كتاب وأظلم منها . واضح شلي الوارث الوحيد للبارونية . وقد خلف سير يسي ورعه ثروة طائلة ونال شلي منها الق جته في السام وعلى هذا رأى ان رفع المبلغ الذي يدفعه إلى « هاريت » كل شهر ومد يد المعونة إلى حيه الذي كان غارقاً في الديون

ورزقت « ماري » ولداً ولكنه لم يلبث ان مضى بغير ثلثة ابد شهر من ولادته فحزنت « ماري » حزناً شديداً وأصبحت تمنص احن « كير » ولا تطيق الاقامة معها في المنزل اكثر من ذلك . لقد بدأت الثيرة تنس قلبها وتولد فيها الضئبة نحو احن التي كانت تنازعها بمجادية وحشية ساحرة مما جان « ماري » فحنى ان يقع في أسرها شلي يوماً ما على الرغم من صدق ولاته لها . وما ضايقها اكثر وأثار نازنها قيام الشاعر وكثير شطراً كبيراً من الليل ما — ان

لم يكن انبيل كنه — بشاكران في العلوم العالية. و«خير المحجبت» «ماري» في التخصص من كبير وثبت
ولما وجدت هذه الفتاة الحياشة العاطفة — كبير — أنها لم تسكن من كتب شلي عزمت
ان تبحث عن حب في مكان آخر . . . حب شاعري بضرع حب شلي . واتاحت لها الأقدار
أخيراً اللورد بيرون الشاعر الارستقراطي الانيق

ولا يجمان هنا ان تعرض للسلاقة الطويلة بين بيرون وكبير واما كل ما هبنا ان نقوله فهو
انه لما خافت الخان بشلي وماري فكراً في ان يرحل الى سويسرا ليجدا عيشة أرخص فيها وليبعد
شلي عن الجو الذي يشيع فيه المثلث له ولما رى : وصحبها كبير في هذه الرحلة . وبعد قليل
وقع التعارف بين الثالث وبين بيرون . وأحب بيرون كبير حباً عميقاً ولكنه لم يثبت ان سئم
منها ولم تلبث ثمرة هذه السلاقة — أليجرا — ان قضت معها دون السادسة من عمرها

— ٤ —

وبينا كان شلي في سويسرا كان سوء الطالع يرسم آتوه وكانت الأقدار تهيئ في اختفاء
ليجراً أسود في اثنى حياته . لقد ظلت « قاني جودوين » للمكينة تعاني ألم الوحشة وتشتت
أما وبدأت تحمد أختها — ماري وكبير — ان أصبحتا طليقتين من قيود المنزل وارضاعه التربة
وكتبت « قاني » الى شلي خطاباً لم تحف فيه حدها وتوقها للحياة التي يحبوها جميعاً في ذلك
الجو الخيالي الطليق

مكينة « قاني » !! لقد كانت تحب شلي أيضاً !! وكانت حياة الوحدة التي تحبهاها ، والشقاء
الذي يتغل كاهنها من جراء فتوة أما ، كان كل ذلك سبباً لانهارة اعصابها وانتقال هذا الحب
وعلى أن ذلك عزم شلي ان يرجع الى انكلترا ورحل الجميع — شلي ، وماري ، وكبير — الى
« بات » حيث اعزموا ان يعيشوا . وقد قابلوا « قاني » في لندن وقضت معهم وقتاً سعيداً .
ولما آن رحيلها جزعت وهي تصافع الشاعر جزعاً شديداً وقد ساءت دموعها وهو يشبهها
وتلقى شلي منها خطاباً غريباً كتبه من برستول . لقد كانت تودعهم وداعاً يقطر
حزناً . . . وتقول : —

« اني ذاهبة الى مكان ارجو ألا أعود منه ثانية ! »

ووقع الخطاب من نفس الشاعر وماري موقفاً اليماً فأسرع بالذهاب الى برستول بلحق
« بقاني » قبل ان تودي بنفسها . ولكنه وجد أنها قد تركت برستول الى سوانسي . وفي
اليوم التالي وجدت ميتة وبجانها زجاجة ممتلئة بالودانوم « صبغة الايون » تاركه خطاباً مؤثراً
تصف فيه سبب اتجارها

واعتقدت مسز جودوين ان شلي هو السبب في هذه المأساة التي فوضت ما بقي من كيان

العائلة . لقد انحرفت الفتاة لآها كانت تسمع أنني أشعر أنني اغرى احتها من قبل
 وارتدت في سني كثيراً وحمده عن النبل الى الرأس من الحياة . ولكن خذت منه
 ان اقدم مع سره صديقه « بي هنت » في « هاستد و قضي زماناً كاد يسيه نبح الماضي
 الكتيب . ولكن الاقد : ما فئت تهاحه و فئت ان دهته ضربه زلزلت كيانها . لقد
 احتقت هاريت : واستبخر شلي بصديقه شكيم على اقتفاء اثر هاريت . ولما ترك شلي هاستد
 وجد رسالة من حكاهم تنصده ونا فصح وجد انما يأتي : —

« سيدي العزيز »

« لقد مضى شهر عى انشرف بتسلي خذت الكرم واطلك قد دهشت — ولا شك —
 « من عدم الاسراج في ترد عليه . لقد فملت ذلك عن عمد . فاني قد وجدت أنه من الضويرة
 « ان احترك بما تريد عن مسر شلي وعن اولادك »
 « فيما كنت اسمى ياسيدي لمعرفة عنوان مسر شلي ، اذ جئتني نيا انها نويت . لقد انحرت ..
 « وانت تعتقد بانى لم اصدق الخبر في حينه واستفت بمنزل صديق للمسترو وسترولك ليتحقق الخبر
 « وانا افزع بألمي الى الشك والكذب . ولكن لشديد اسني اخبرت انها انتقلت من
 « السربتين يوم الثلاثاء الماضي . وقد اعتبر القضاة والطبيب الشرعي ان الوفاة كان سببها البرق
 « اما ولداك فكلهما في صحة جيدة وهما — عى ما اعتقد — في لندن » .

وفي صباح اليوم التالي ظهرت هذه البارة في جريدة التيمس :

« وجدت في يوم الثلاثاء الماضي جثة سيدة كريمة متقدمة في اشهر الحمل غريقة في السربتين
 « وحملت الى منزلها في شارع الملكة بريسطن وكانت قد تبيت عنه ستة اسابيع . لقد كانت تلبس
 « في اصعها خاتماً ثمياً ، ولظنون ان هذه السيدة قد استهزت بشرفها ورحلها هذا على وضع
 « حد لمذايها والتكبر في هذه الهابة الخزعة بينما كان زوجها متياً في الخارج »

وكان وقع النصاب على شلي شديداً ولكنه أخذ يقنع قصة بانة لم يكن مشولاً عن ذلك
 وانه سلك ملكاً كريماً لا خطأ فيه ، اي انه لم يسيء إليها وانما كان برأها رحماً

وبعد اخراج جثة هاريت بأصوع عقد شلي زواجه على ماري جودوين في كنية سانت
 ملدرد . وفرحت طائفة جودوين لنجاح ماري وفوزها أن أصبحت زوجة شلي وبارونة سكس
 في الهابة . وقد غير هذا من موقفهم الماضي . وما يذكر ان جودوين وزوجه حضرا عقد زواج
 المرويين في الكنيسة . وكتب والدها إلى أحد أصدقائه يخدمه عن الزواج ويقول : —

« إن زوجيا هو أكبر ابنا سبر تيموني شلي بارون مقاطعة سكس ، وأنت ترى أنه
 « على الرغم من اشاعات العالم وأقاويله فقد تزوجت ابنتي زواجاً سعيداً . وأنا عظيم الایمان بأن »

زوجها سيحسن معاملتها. وملك تحجب كيف أن تكاد تناري لا تكاد تملك ثروة... كان طاعة
« هذا الخطبوا من السعادة والنور. ولكن هذ شان الحياة وهي: بين أسير وقصيد. »
« وكل ما أرجوه لها هو أن نجد حياة متحررة: فأنقذ الرومانيا. »

ورجع شلي أن تشرف ماري على تربية أولاده من زوجها « ريت وبيتر » كانت محكمة
شاسيري بغير ذلك. فقد قررت المحكمة عدم صلاحية كل من شلي وعائشة وسنبروك بوصابة على
الأولاد. واختارت لتربية هؤلاء الأولاد طبيباً من أطباء الجيش هو زوجها وقد ادت المحكمة
شلي أن يزور أولاده مرة في كل شهر بشرط أن يكون هذا في حضرة ارجين

أثرت كل هذه الضربات في شلي تأثيراً كبيراً وبدأ ظهره ينحني تحت ثقلها المرهق الثقيل
وكثيراً ما حرمه التفكير النوم. لقد أصبح يائساً من كل شيء وضاق في وجهه كل سنة. وس
الكتاب الذين اجنوا وصف حالته آتخذ الكاتب الشاب الفرنسي أندريه مورووي أديسون: —

« لقد أخذت الصروح الهوائية والتصور اللورية انشفاقة التي كانت تحجب تحت أظباق غضبها »
« واقية الحياة عنه عهداً طويلاً — اقول أخذت هذه الصروح والتصور الخيالية تجعل رويداً »
« رويداً وتفقد صلتها بالأرض ساجدة نحو الفضاء كان هناك قوة غير مرئية تجذبها إليها. العالم »
« ثلاثين وإثنا سرت في موكبها الساحر المصاف برفق صوب عوالم عليية من الشعر الخالص »
« التي. وبدأ شلي ينظر من المكان الذي احتلته هذه الاطراف إلى الدنيا نظرة حقيقية مجردة »
« عن كل خيال. بدأ يرى الحياة بما فيها العميرة، ووجوه الرجال الكالحة العابة، والنساء »
« القاطلات المصيات، والمجتمع الإنساني انقاسي الذي ود من قلبه نوفر منه إلى الأبد »

واشترى بيتاً في جريت مارلو وطاش فيه مع ماري وطفليها وأنيجرا بنت كثير من النورد
يرون وكانت على درجة كبيرة من الجمال. وكان شلي يمضي وقته على شطآن الهر في هذا
المصطاف الجميل، وكان يعذى خياله من جمال وادي التيس الرائع الضخم وقد زار في هذا
المصطاف كثير من معارفه وسجرائه أمثال حميه جودوين وصديقه لي هنوت وزوجته وأولاده
وأصبحت حياته في أمكترا لا تطلق بعد أن كثرت الاشادات عن وجود كثير مع شلي مما
جعل اللسان تهش شرفها. لقد زعم الناس ان الجبرالم تكن إلا ابنة شلي وليست ابنة يرون
ولهذا اعترف شلي وماري أن جبراً إلى إيطاليا

ولا يتسع المجال هنا لأن لسهب في وصف حياة شلي وموته في إيطاليا أو علاقته فيها
بالشاعر النورد يرون. وإنما ستجمل ذلك اجمالاً

لقد سبق شلي زوجته إلى إيطاليا وصحب حضورها بأمانة حدثت كتابها إذ إن طفتها
كانوا أنفست في البسارية . وكانت تصيحبا أثناء ذلك كثير التي قرصت نفسها عذبا فرحنا . ورحلوا
من البندقية إلى روما ونابلي ولم يلبث أن دهمتهما كارثة أخرى إذ إن السبا الصغير ولهم مرض
الدوسنتاريا مات بعد قنين

حطمت هذه الضرية الثانية قلب ماري وسحقته سحقاً وقد أثر ذلك في قلب الشاعر الرقيق
الضعيف وأخذ يشكو ذلك في شعره : —

(أين ذهبت يا عزيزتي ماوني وحلقتي وخيداً في هذا العالم الموحش الخيف ؟ إنك مازلت)
واقامة هنا . . وهذا طيفك المحبوب ما يزال بين ناظري . ولكنك أنت قد فرت بعيداً)
(وركبت الطريق الموحش الذي يهبط بالثره إلى مراح الأجزان الكتيب للمظلم)

ورزقت ماري ولداً في فنورسا فهذا روعيا قليلاً وبدأت تتيق من غيبوبة أحزانها . ولم
تطل وحدثها في إيطاليا إذ زارها صديقان من اعز اصداقها هما إدوارد ولويس وزوجته
الفتاة الجميلة « جين » . وأحسن شلي أنه قد أحب « جين » ولكنها كانت امرأة ذكية
حساسة حرصت على أن تكون علاقتها بالشاعر علاقة عذرية بريئة حتى لا تعكسوا الجو الخيالي
البيدائي يعيش فيه الاصدقاء الأربعة

وفي خلال ذلك رأى شلي فتاة ايطالية فتنة بجالها وكانت تدعى اميليا حبسها ابوها في
الدير وكان رجلاً غليظ القلب عريداً . ونظم شلي قصيدة كبيرة في هذه الفتاة واطلق عليها
عنواناً غريباً حار النقاد في فهمه وهو Epipsychidion وقد اثاره هذه الفتاة غريزة الشاعر
الانسانية وأخذ قلبه الرحيم يحمو على هذا الروح البقيم — كما كان يدعوها في قصيدته
ويوقف عليه في حيك قلبه هذه الاكابل المقدسة الباقية من الذكرى الذالمة . وأحب شلي
اميليا والح على زوجته ماري في أن تذهب اليها في الدير . وظلت ماري وقتاً طويلاً وهي قلقة من
هذه العلاقة الجديدة ولكن افرخ روعيا عند ما تزوجت اميليا من رجل يدعى بيوندي

وبعد ذلك بشليل اكتفت حياة الشاعر مشكلات جديدة اخذت تخص عليه حياته . واخذ
يتنقل بين بيرزا وكازا ماجي وقد قضى فيهما مدة طويلة

وفي آخر صيف ذلك العام ركب شلي مع صديقه ولويس قارباً في البحر وهبت زوبعة شديدة
اجتاحت القارب الصغير فابلته الامواج الثائرة . وكانت هذه خاتمة الشاعر

ولما أخرجت جثة احترقت على الشاطئ في حضور جمع من خلصائه . وكانت هذه وصية
الشاعر وأنيته